

إلى حلم خصيب تأنس به بعض الوقت، وهذه نعمة تتجلى في اللغة وتظهر، ولكن اللغة أخطر النعم - كما يقول الشاعر هيدرلن -⁽²⁸⁾ ومن خطورتها جاءت هذه الحكاية التي يجب علينا أن نأخذها مأخذ الجد، ونأخذ التكاذيب كلها المأخذ نفسه، بوصفها جنساً أدبياً أهملناه زمناً وحق لنا أن نعود ونهتم به. ولم يكن الأعراب عابثين حينما كانوا يتكاذبون، ولكنهم كانوا يمارسون الحياة من داخل اللغة، بوصف اللغة كائناً حيويًا نوعياً باستطاعتها منح الإنسان كينونة نوعية مماثلة وجدها الأعراب في التكاذيب فمارسوها بإتقان وإبداع وعن وعي كامل، مما جعلهم يوظفون خيالهم فيها توظيفاً إبداعياً متفوقاً، ولو جاءنا هذا الموروث كله لجاءنا علم وافر، كما يقول أبو عمرو ابن العلاء.

2.3 - تتفاعل الحكاية من خلال دور القائل فيها، فهذان أعرابيان قال أحدهما ثم قال الآخر، وهما بذلك لا يقدمان حكائيتين، ولكنهما يقدمان حكاية واحدة ذات شطرين أو دورين، أو لنقل بلغة المسرح إنها ذات فصلين. وهي تفضي إلى دلالة ضمنية كلية واحدة، وتوظف العناصر داخل النص توظيفاً بنيوياً متكاملًا، والأدوات الفاعلة داخل الحكاية تبدأ من فعل القول المشترك، حيث يتم إلغاء المؤلف الفرد، والمستمع الفرد، ويحل الإيجاب والتجاوب كبديل للدور التقليدي الذي يمارس سلطة وتسلط المؤلف على الخطاب وعلى المتلقي. ومن هنا فإن فعل القول المشترك يتحرك عبر العناصر بأدوات فاعلة داخل الحكاية، وهذه هي: الفرس / الليل / السهم / الظبي. ويكون الفرس والسهم أدوات أساسية للفعل، بينما الليل والظبي هما رموز